

نفحات القرآن

[215] ولذا نلاحظ في هذه الآية من سورة مريم نفسها بأن حُجِبَ الأوهام حينما تزول ويتنزهُ العقل فإنَّ المشركين يدركون خطأهم الفطيع وسرعان ما ينكرون عبادة الأصنام ويواجهونها ، كما ورد بأنَّ المشركين يقولون يوم القيامة : (وإِلهُ ربِّنا ما كُنَّا مشركين) (1). * * * وأخيراً فإنَّ الآية الرابعة والأخيرة بعد الإعلان عن (أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) الخالص (فهي تهدِّد المشركين وتضيف : (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ) (2). إيضاحات 1 - منشأ الاعتقاد بالشفاعة يعجب كلَّ عاقل عندما يواجه قضيةً الشرك لأوَّل مرَّة ، فكيف يمكن أن يخضع إنسان عاقل ذو شعور لتمثال حجري أو خشبي قام بصنعه بيده ؟ فلو كان يمتلك قليلاً من العقل لكانَ هذا غير مقبول عند ، ولو عرفنا أسباب ذلك لوجدنا أنَّ القضية ليست بسيطة كما نرى ، فإنَّ مجموعة من الأوهام والفسلفة والخيال والعادات طُرحت كأدلة عقلية وخذعت المشركين . يقول الفخر الرازي في ذيل تفسير الآية (18) من سورة يونس : فيمن قالوا في الأصنام هؤلاء شفعاؤنا عند الله وذكروا فيه أقوالاً كثيرة . _____ 1 - سورة الأنعام : آية 23 . 2 - قال كثير من المفسِّرين بأنَّ (والذين) مبتدأ وخبره (إنَّ الله يحكم بينهم) وجمة (ما نعبدهم) فيها محذوف هو بمنزلة الحال والتقدير (قائلين ما نعبدهم ...) .